

أقدم مخطوطة باللغة العربية في طب الأطفال

بقلم الدكتور

محمود الحاج قاسم محمد

الموصل - محافظة نينوى - العراق

المؤلف :

« أبو الحسن أحمد بن محمد الطبري من "علينا المؤرخون بترجمة وإحياء بساقي الحسن لآكلي ابن أبي أصيبعة" (م ١ ص ٢٢١) بالقول أنه كان طبيب الأمير ركن الدولة ولم يأتي القلي على ذكره ولكن أحد المستشرقين (بروكلمن م ١ ص ٣٧٥) يذكر أنه عاش بين سنة ٢٢٠ وسنة ٣٦٦ هـ . وهذا هو نفس التاريخ الذي ملك فيه ركن الدولة (راجع لتاريخ دول الإسلام فصل ١٨٢) . وأهمية هذا المؤلف تظهر لمن طالع كتاش (١) الذي سماه «المعالجات البقراطية» الذي قال فيه ابن أبي أصيبعة أنه من أجل الكتب وأنعمها ونحن نقر ابن أبي أصيبعة على هذا (٢) .

أهمية المخطوط :

رأينا الطبي بكية أنواع التراث على نوعين نوع يجب ان نعمله معنا ونهتم به لانه يثرى مكتبتنا الطبية ويبحث الهمم في نفوس اطفالنا .

ونوع يشغل كواهلنا ولهذا يحسن بنا ان نعمله وننتخلص منه . وكتاب المعالجات البقراطية من النوع الذي يلعبنا ان نعمله معنا فهو حلال بالمخطوطات القيمة وخاصة لأنه يضم بين يديه القسم الخاص بطل الأطفال وصحتهم وهدايتهم من الولادة وآداب الرضعة وتغييرها .

وتجلى أهمية هذا القسم والذي هو موضوع بحثنا :

أولا : من حيث كونه القدم ما وصل لنا من كتابات الأطباء العرب والمسلمين في موضوع طب الأطفال باللغة العربية . أما كتاب الرازي في طب الأطفال والذي يعتبر أول مؤلف في هذا الحقل فلا يوجد منه نسخة باللغة العربية وإنما يوجد منه نسخ مترجمة للعربية واللاتينية والإيطالية من النسخة الإيطالية إلى الإنكليزية مؤخرًا صموئيل أكسردابل ونشر في مجلة امراض الأطفال الامريكية سنة ١٩٧١ (٣) .

(١) «كتاش» : هو لفظ يونانية معناه المعالجات في الرأس إلى القدم وجسمه الكتاشات : المخطوط حاشية ص ١ .

(٢) مقتطف من كتاب سائر العرب في العلوم الطبية للدكتور سامي حداد - بيروت ١٩٣٦ ص ٤٨ .

(٣) Amer. J. Dis. Child/Vol. 122 Nov. 1971 p. 372-376.

وبالرغم من كون الطبري جاء بعد الرازي إلا أننا لم نجد له أية إشارة لكتاب الرازي آنف الذكر فلا نعلم سبب ذلك وهو تجاهل له أم أنه لم يطلع عليه وإذا صح الاحتمال الأخير فإنه يزيد الكتاب قيمة وأصالة .

ثانياً - يؤكد المؤلف في مقدمته بأنه لم يتكلم أحد قبله في علاج الأطفال كلاماً شاملاً بل اعتمد الأوائل في ذلك على أن الطب علم وعنه يشتمل على الأطفال وغيرهم في باب المعالجة ، ويمضي الطبري في تفصيل كلام البعض الآخر من كون معالجة الأطفال من مقام الجزئيات من الأمراض وهدولهم من معالجة الأطفال إلى معالجة الرضعات حتى يخلص إلى حقيقة طبية نسلها له بغير إلا وهي ضرورة معالجة الطفل المرضي نفسه وعدم الاكتفاء بعلاج الرضعة وهذا على ما اعتقد يعتبر طرفة عقيمة في حقل معالجة الأطفال لم يسبقه بها أحد .

ثالثاً - نجد في المخطوط أول إشارة إلى العشرة الحسية لمرض الجرب كما سيأتي تفصيل ذلك فيما بعد .

أبواب الكتاب (٤) :

جاء في بداية الفهرست « من الكتاش العروق بالمعالجات البقراطية في علل الأطفال وتغييرهم ومداداتهم حين يتولد وآداب الرضعة وتغييرها وهي ستون باباً على هذه الترتيبات المذكورة » .

الباب الأول الجرب المعروف بالقرحة وفيه كلام عن أنواع الأمراض الجلدية التي تصيب رأس الطفل والأمم في هذا الباب قوله « أعلم أن الجرب أنواع كثيرة منها رطب يسيل منه مدة وصديد وأكثر حدوده للرأس شديد الوجع شبيه بالسفلة وربما يتولد منها حيوان مثل الصبيان وهي مختلفة الصور ... » (٥) .

حيث يعتبره مؤرخو الطب مكتشفاً لعشرة الجرب إذ لم

(٤) اعتمدنا في بحثنا على النسخة المخطوطة والمحفظة بدار الكتب الصرية برقم (١٤١) (١) طب والقسم الخاص بطل الأطفال يقع ضمن مجموعة (الرسالة الأولى) من الكتاش . والكتاب جديده مع حواشيه بخط ناسخه كمال بن ظهير الدين بن اختيار النطيط الذي فرغ من نسخته سنة ١١٢ م .

(٥) تراجع المخطوط حاشية ص ٥

يسبقه احد من الاطباء في الاشارة الى ذلك . ولي الابواب السبعة الاخرى يذكر امراضا جلدية اخرى تصيب رأس الطفل وائله والله ويذكر فيها العلاجات اللازمة لكل منها .

اما الباب السابع فقد افردته للتحديث عن المصراع يقول في هذا الباب من جملة ما يقول :

« فيقول من بغارات غليظة وطوية فيملا بطون المصراع من الطفل ويسد فلا يجري القوة النفسية في مجاريها فيحدث لذلك الدماغ ويحدث منه حالة شبيهة بالمصراع ومثل هذه الحالة اذا كانت بالكبار كان صرعا وبصر تحمله في الكبار بل لا يفتح في بؤره مطلقا ظن الخيف انفسه ولي الاطفال يزول باحسب سمي بسرعة ميلان طبعهم الى ما يميلوا اليه وسهولة قبولها » (١٧) لم يفتي في تطويل اسباب هذا المرض وعلاجه وعرض آراء بعض الاطباء في ذلك . ويتحدث في الباب الثامن عن الحالة التي يمرض بها الصبي الكزاز الذي يحدث في الاطفال يقول في ذلك :

« مما يحدث في الدماغ الصبيان طلة تعرف بالاستسكة ... وهو ان يسطك استانه كثير من اصابته ويحدث في شتر بطنه شبه بالاعتلاج ولم يلاحظ احد به هذه الحالة نجا منها ذلك هو الكزاز ولا كان يحدث هذا بالطفل الا اذا كانت به جراحة خلية او قاهرة » (١٨)

كما انه يقول من الكزاز ايضا في الباب العاشر « الكزاز طلة يحدث في الاطفال كثيرا وبالكبار من الناس عندما يصيب الجراحة اطراف العضلات والاعوار ... » الى ان يقول « واذا ما استحكم واستكت استانه سمي ذلك الوقت الكزاز الفاسط ... » ولما يتخلص منه الطفل .. » (١٩) ويذكر من امراض الكزاز « المينان لانتان وان ترى الطيل كانه يبعث ويعرض له سمر وعصر بول . واطم ان كل آفة يحصل في الوتر والنضاع والفسل وما يمرض له يمرض للدماغ ... » (٢٠) ونجد للطبري في الباب التسع الثلاثة جميلة حيث يقسم الاسترخاء في الاطفال الى نوعين مكتسب ووراثي ويؤكد عدم امكان معالج الاسترخاء الوراثي فيقول « في الاسترخاء ربما اصاب الطفل ... فينظر فان كان ذلك وراثي مثل ان يكون بابيه واهه استرخاء فلا حيلة فيه » (٢١)

ولي الباب الثالث عشر والرابع عشر يتناول المؤلف امراض الانف ويصف الجراحة في معالجة الزوائد اللحمية في الانف وفي حالة عدم استجابتها للعلاج . اما الابواب السبعة التي تلي ذلك فقد خصها لامراض العين ومعالجاتها .

ولي الباب الثاني والثلاثون يختصر الطبري اسباب البكاء في الاطفال في هذه الكلمات القليلة والتي تسمى معنى علميا كبيرا فيقول : « اذا بكى الطفل دائما فهو لاحد اربعة اسباب اما لوجع في بعض اعصابه او لاحتباس اللبن في معدته او لشيء يؤذي به في منجعه او لقله الغذاء وجوعه » (٢٢) .

ولي ففاناجة ذلك نوعين يفتي استعمال الخدرات للطفل

بل يعالج السبب فيقول « فيجب ان يحذر من استعماله في الطفل يعالجه بحسب السبب » (٢٣) . اما امراض الفم واللسان فيسردها في الفصول الاربعة التي تلت ذلك . اما الابواب الخمسة الاخرى فيناقش فيها الفخرخرة في حلق الاطفال وتطبيق المروء وسوج رقية الطفل والسطاس ... الخ .

ولم نجد فيها ما يلفت النظر سوى قول في غاية الصحة « فلما الادوية التي تستعمل في الكبار فلا يصلح للاطفال البتة ولا تحمله معدتهم ولا امزجتهم » (٢٤) .

اما امراض العدة والاسماء في الاطفال فقد خصص له الابواب التي تلت ذلك حتى الباب الذي يتناول فيها اورام العدة والسرطان والامراض الجلدية والطفولة والقرار والرباح وانواع القيام (ويقصد بذلك الاطفال) وجميع الاسباب التي تبطل الطفل يمتنع من شرب الحليب ومن اللوى (الفص) في الاطفال .

اما الباب الواحد والاربعون فقد تعرض فيه للسعال واسبابه وعلاجه وفي الباب الذي بعده يتعرض نكت الدم والرحا والسبابه ويترك بين الدم الذي يخرج من الصدر والانواع الاخرى بان يخرج بالسعال وهذه حقيقة علمية تسجل للطبري .

اما الباب الثالث والاربعون فقد تكلم فيه عن الجدري والحصبة ووصف الطفح كل منهما على حدة وعلاج ذلك . والابواب الثلاثة الاخرى يتحدث فيها عن بعض الامراض الجلدية التي تصيب ذكر الاطفال وطفله وجسمه ويتناول الكتاب في الباب الثامن والاربعون لذكر لصفيدان الصغار والكبار حيث يقول « وقد يظهر في الاطفال في القعدة ديدان صفار كانما رؤوس الابر بيض فيؤذي الطفل ويمتعه من النوم » (٢٥) « وربما خرج مع براز الطفل ديدان حول » (٢٥) .

ولي الابواب التي تلت ذلك يتحدث عن خروج القعدة وتورم الخصية وانواعه حيث يفرق بين ورم الخصية لنفسها والفتق وكذلك من رجوع الخصيب والتهابه .

اما الابواب الثلاثة التي بعدها فقد خصصها لامراض الجهاز البولي فيسلك من بول الرمل والحصى والدم وخروج شيء شبه بالثني او اللبن .

ولي الباب السادس والخمسون والسابع والخمسون يبحث في تورم الاربتين (طرفي آلات التناسل) ووجع المفاصل . ويتكلم عن انواع الحميات في باب خاص وعلى طريقة سابقة من المؤلفين العرب . ولي الباب التاسع والخمسون يتناول آداب المروسة وتدريبها . وما تجدر الاشارة اليه في هذا الباب قوله « اعلم ان احسن اللبن للمولود لبن امه لانه اشبه بجوهرها يقدم من فذاته في الرحم » (٢٦) .

ويكتم كتابه في الباب الستين والذي افردته للتحديث عن كيفية العناية بالطفل وتربيته من الفولانة وكيفية تلطيفه وتربيته حتى تثبت المرامه .

- (١٢) المخطوط من ٢٤
- (١٣) المخطوط من ٢٣
- (١٤) المخطوط من ٥٤
- (١٥) المخطوط من ٥٥
- (١٦) المخطوط حاشية ٦٦

- (٦) المخطوط من ٦
- (٧) المخطوط من ١٣
- (٨) المخطوط من ١٥
- (٩) المخطوط حاشية من ١٥
- (١٠) المخطوط من ١٤
- (١١) المخطوط من ١٣